مكانة العلماء ودورهم في الحجاز

من منتصف القرن الأول إلى القرن الرابع الهجري/ من منتصف القرن السابع إلى العاشر الميلادي

The status of scientists and their role in hijaz
Mid-1st century to 4th century AH / mid-7th to 10th century AD

الأستاذ الدكتور/ عواطف أحمد الصاعدي

المملكة العربية السعودية

awatef.1404.awatef@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2020-04-21 تاريخ القبول: 2020-05-11 تاريخ النشر: 2021-01-25

Summary:

The researcher sheds light on the place of scholars and their role in the Hijaz from the middle of the first century to the fourth century AH / from the middle of the seventh century to the tenth century AD, and the researcher was limited to the two holy cities - Mecca and Medina - for their great importance and influence on all the cities and villages of Hijaz.

The plan for this research required that it be conducted in two papers, preceded by an introduction explaining the importance of the topic, which lay in the status of Muslim scholars among private and public people, and the extent to which they - i.e. scientists - influence their societies at various levels.

The first research dealt with the place of scholars in Islam, and reflected the high status of scholars in Islam, as well as their honour with God and their honour over the rest of creation, and then highlighted the place of scholars in the Hijaz.

The second topic is about the role of scientists in Hijaz, and contains four main axes, where each axis specialized in a certain aspect of public life in the following order: their role in political life,

their role in social life, their role in economic life, their role in scientific life.

The research concluded with the conclusion that dealt with the most important findings of the researcher.

Keywords : Scholars - Hijaz - Mecca - Medina - Status - Their Role - Scientific - Political - Economic - Social

ملخص

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خير الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين. أما بعد:

فهذا بحث عنوانه (مكانة العلماء ودورهم في الحجاز من منتصف القرن الأول إلى القرن الرابع الهجري/من منتصف القرن السابع إلى العاشر الميلادي)، وقد اقتصرت الباحثة على المدينتين المقدستين – مكة المكرمة والمدينة المنورة– لأهميتهما وتأثيرهما الكبيرين على جميع مدن وقرى الحجاز.

وقد اقتضت خطة هذا البحث أن يقع في مبحثين، تسبق بمقدمة توضح أهمية الموضوع، وتكمن في منزلة العلماء المسلمين لدى الخاصة والعامة من الناس، ومدى تأثيرهم – أي العلماء – في مجتمعاتهم على مختلف الأصعدة.

وتناول المبحث الأول مكانة العلماء في الإسلام، وتجلى فيه ما حظي به العلماء من منزلة رفيعة في الإسلام، وذلك بما خصهم به الله ﷻ وشرفهم على سائر الخلق، ثم تسليط الضوء على مكانة العلماء في الحجاز.

وأما المبحث الثاني فهو عن دور العلماء في الحجاز، ويحتوي على أربعة محاور رئيسة، حيث اختص كل محور بجانب معين من الحياة العامة، على الترتيب التالي: دورهم في الحياة السياسية، دور في الحياة الاجتماعية، دورهم في الحياة الاقتصادية، دورهم في الحياة العلمية.

واختتم البحث بالخاتمة التي تناولت أهم النتائج التي توصلت إليها الباحثة.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

الكلمات المفتاحية: العلماء – الحجاز – مكة – المدينة – مكانة – دورهم – العلمية – السياسية – الاقتصادية — الاجتماعية.

مقدمة

لا يخفى على كل باحث ما للعلم وأهله من فضل، وما أضافه العلم لأهله من منزلة رفيعة ، وهذا ما سيثبته البحث في الصفحات القادمة. وقد حظي العلماء دون سائر أفراد المجتمع بالدراسات مثلهم مثل الخلفاء والسلاطين والأمراء والوزراء، وذلك بالرغم من عزوفهم عن تولي المناصب أحيانًا، إلا أن إسهاماتهم داخل مجتمعاتهم جعلتهم محط انظار الباحثين الذين شمروا عن سواعدهم، وبدأوا يبحثون ويكتبون في كل موضوع له صلة بالعلماء.

ولذا سيقيس البحث الإشكاليات التالية:

- ما مدى مكانة العلماء في التاريخ الإسلامي؟
- ما هو دور العلماء في الحجاز؟

وهذا ما نهدف في هذه الدراسة له، حيث تجلى في المبحث الأول مكانة العلماء في الإسلام بشكل عام، ثم تسليط الضوء على منزلة العلماء في الحجاز. وأما المبحث الثاني، فتحدث عن دور العلماء في الحجاز، وذلك بتوضيح دورهم في مختلف مناشط الحياة، وذلك على الترتيب الآتي: دورهم في الحياة السياسية، دورهم في الحياة الاجتماعية، دورهم في الحياة الاقتصادية، دورهم في الحياة العلمية.

وقد اعتمد البحث على عدد من الدراسات السابقة، منها: الآجري، محمد: أخلاق العلماء. والخطيب البغدادي: الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع. وأبو نعيم الأصبهاني: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء. والمصنف: عبد الرحمن: الحياة العلمية في الحجاز في القرنين الثالث والرابع الهجريين.

1. مكانة العلماء في الإسلام:

اختص الله ﷻ بعض خلقه بالتشريف، وفضل بعضهم على بعض، ورفع قدرهم وأعلى مكانتهم على سائر الخلق، ومن أولئك الخلق العلماء، إذ قال في محكم كتابه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ سورة النساء آية(59)، وقد اختلف المفسرون بمن المقصود بـــــــ ﴿أُولِي الأَمْرِ﴾ هنا، فتارة قالوا بأنهم السلاطين والأمراء، وتارة أخرى قالوا بأنهم العلماء[2]مستشهدون بذلك بقوله تعالى: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ سورة النساء: آية (83)، وقد حسم النووي هذا بقوله: "المراد بأولي الأمر من أوجب الله طاعته من الولاة والأمراء، هذا قول جماهير السلف والخلف من المفسرين والفقهاء وغيرهم،وقيل: هم العلماء،وقيل:الأمراءوالعلماء[4]"، وكذا ابن تيمية الذي قال: "هم الذين يأمرون الناس، وذلك يشترك فيه أهل اليد والقدرةوأهل العلم والكلام؛ فلهذا كان أولوا الأمر صنفين: العلماء؛ والأمراء...، وكل من كان متبوعًا فإنه من أولي الأمر[5]"، وعليه نرى أن أولي الأمر هم كل من ولي شيئًا من أمور المسلمين من أمراء وعلماء وقضاة وغيرهم، وما يهمنا هنا الجزء الخاص بكون أولي الأمر هم العلماء والفقهاء.

وإن من الحقائق الثابتة في القرآن الكريم أن الله قد خص العلماء دون غيرهم من البشر، فقرن شهادتهم بشهادته وشهادة ملائكته، وجعل شهادتهم من أكبر الأدلة والبراهين الدالة على توحيده، قال تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلا هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ﴾ سورة آل عمران: آية(18)،وأن شهادتهم مقبولة لدى جميع الخلق؛لعدالتهم، فالله ﷻ لا يستشهد من خلقه إلا العدول، فقد جاء عن النبي ﷺ أن هذا العلم يحمله من كل خلف

عدوله، فينفون عنه التحريف والتزييف[7].وهذه المكانة لها من الفضل والشرف لم يصلها أحد من البشر بعد الأنبياء عليهم السلام سوى العلماء.

و لم تقتصر تلك الحقائق الثابتة عن مكانة العلماء في الإسلام على هذا، بل إن الله ﷻ قد خصهم برفع درجاتهم على سائر المؤمنين، حيث قال في محكم كتابه: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾سورة المجادلة: آية(11)، فقد جاء عن ابن عباس[9] رضي الله عنه أن للعلماء درجات فوق المؤمنين بسبعمائة درجة ما بين الدرجتين مسيرة خمسمائة عام[10]، بل إن درجة العلماء فوق درجة المجاهدين في سبيل الله يقول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه:"فوالذي نفسي بيده ليودن رجال قتلوا في سبيل الله شهداء أن يبعثهم الله علماء لما يرون من كرامتهم فإن أحدًا لم يُولد عالِمًا وإنما العلمُ بالتّعلُّم[12]".

ولا أحد يستطيع أن ينكر المكانة العظيمة التي تبوأها العلماء في الإسلام مقارنةً بغيرهم من الأمم الأخرى، فـــكل أمة قبل بعثة النبي ﷺ كان علماؤهم شرارها إلا المسلمين، فعلماءهم خيارهم[13]، ولا ريب في هذا فلو أمعنا النظر إلى الأمم السابقة نجد أن العلماء كانوا سببًا في انحراف أقوامهم عن الطريق الصحيح، ولعل أهم الشواهد التي تؤيد هذا هو تجرؤ بعض أحبار اليهود وعلماء النصارى على تحريف التوراة والإنجيل، ثم ادعاءهم بأنها من وحي الله ﷻ، مما نتج عنه انحراف أتباع الديانتين في عقيدتهم وشريعتهم وأخلاقهم.

وهذه الحقيقة لا يمكن انكارها، فقد أثبت بعض أبناء المسيحية أن كتابهم المقدس تعرض للتحريف، فقد ذكر أحدهم أن هناك تناقضات في الأناجيل ما يقلل من دقتها، إذ ليس القصد من تدوينها كتابة تاريخ مرتب زمنيًا، ولذا لم يرَ هؤلاء الكتبة أي خطأ في تغيير حقيقة

تاريخية، بالإضافة إذا استعسر عليهم توضيح معنى آية من الكتاب المقدس يصبح لزامًا على العلماء اللجوء إلى التخمين، فضلًا عن هذا لم تسلم كتبهم من الإضافة، فمثلًا الإنجيل الرابع المنسوب ليوحنا قد تعرض للتنقيح، واحتوى مادة أضيفت إلى الانجيل الأصلي في زمن متأخر؛ لكي تتناسب مع احتياجات القراء[14].ومن أكبر الانحرافات العقدية التي أصابت النصرانية هي عقيدة التثليث أو الثالوث التي لم ترد في الكتاب المقدس، أو أي من الأصول اليونانيةالمعول عليها في كتابة وترجمة الإنجيل، بل أُضيفت فيما بعد[15].

أما أمة محمد ﷺ فقد هيأ الله تعالى لها نخبة من صفوتها وهم علماؤها ليقودها، وذلك لما لهم من مكانة رفيعة عند الله ﷻ، ومنزلة ذات شأن كبير في المجتمع الإسلامي، فإليهم ترجع الأمة لفهم كتاب الله وسنة نبيه ﷺ، وهم صمام الأمان لهذا المجتمع عندما تتعرض الأمة إلى الفتن، فهذا شيخ الإسلام ابن تيمية (ت728هـ/1328م) حمل السيف ضد المغول ونزل لساحة المعركة، وزرع بذور الحماس للجهاد في نفوس العامة الذين التفوا حوله لما رأوا مشاركته في القتال، كما كان يستثير همم المجاهدين للتصدي للغزاة[17].

ولا يتسع المجال هنا لذكر مكانة العلماء في الإسلام، ولذا سنقتصر على إبراز هذه المكانة بعرض عدد من الشواهد التاريخية لتوضيح مكانة العلماء لدى الخاصة والعامة من الناس، ومن ذلك:

أن عبد الله بن عباس (ت68هـ/687م) عندما أمسك بركاب زيد بن ثابت (ت45هـ/665م)، قال له زيد: "أتمسك لي وأنت ابنعم رسول الله رضي الله عنه ؟،فقال ابن عباس: إنَّا هكذا نصنع بالعلماء[19]".

كذلك كان عبد الله بن عباس يُجلس أبا العالية رفيع بن مهران (ت90هـ/709م، وقيل:93هـ/712م) معه على السرير، وحوله قريش، فأخذوا يتغامزون كيف يجلس العبد بجوار الشريف دونهم–وهم أشراف العرب، ففطنلهم ابن عباس، فقال: "كذاك هذا العلم، يزيد الشريف شرفًا، ويَجْلِسُ المملوك على الأسِرَّة[21]".

كما حظي العلماء باحترام وتقدير الدولة، فقد حرص الحكام والأمراء على تقريب العلماء منهم ومجالستهم لهم، واستشارتهم في أمور المسلمين، كما أُسند إليهم بعض المناصب، مثل الإمارة، والقضاء، والشرطة، والحسبة، وغيرها من المناصب[22].

فهذا عمر بن عبد العزيز خلال إمارته على المدينة النبوية كان لا يقضي بأي قضية إلا بعد استشارة سعيد بن المسيب(ت94هـ/713م)،وكذلك كان عامة الناس لايجترؤا على سؤاله – أي سعيد بن المسيب– عن شيء حتى يستأذنونه كما يُستأذن الأمير[25]، وأيضًا اتضحت تلك المكانة التي حظي بها العلماء من خلال موقف الخليفة سليمان بن عبد الملك الذي قدم للحجاز حاجًا، فجاء بصحبة ابنيه إلى عطاء بن أبي رباح (ت114هـ/732م)، فجلسوا جانبًا ينتظرونه حتى يفرغ من صلاته، فلما انتهى أخذوا يسألونه عن مناسك الحج، فأجابهم عن اسئلتهم، وقد حول قفاه إليهم، ويبدو أن الخليفة قد امتعض من تصرفه هذا، فقد قام وأمر ابناهأن يقوما أيضًا وألا يهملان طلب العلم، فقد شعر بالذل أمام هذا العالم الجليل العبد[28].

2. أدوار العلماء في الحجاز:

كان للعلماء في الحجاز خلال فترة الدراسة مكانة مميزة عند الخلفاء والأمراء وعامة الناس، ويعود ذلك في الأصل إلى كون هؤلاء العلماء من صحابة رسول الله ﷺ وكرام

التابعين، ومن هنا لقد حظي العلماء بالحجاز بصفة خاصة عبر العصور الإسلامية بمكانة رفيعة في المجتمع الإسلامي، خاصة وأنهم جزء لا يتجزأ من المجتمع، ولهم دورهم في الحياة بمختلف نشاطاتـــها.

أ) دورهم في الحياة السياسية:

شارك العلماء في الحياة السياسية في الحجاز في الفترة من منتصف القرن الأول إلى القرن الرابع الهجري/من منتصف القرن السابع إلى العاشر الميلادي، وكان لهم دورًا ملموسًا في الأحداث التي مر بها الحجاز آنذاك، وقد أُسند إلى بعضهم منصب الإمارة، كعمرو بن سعيد بن العاص (ت69هـــ/688م) الذي أمره يزيد بن معاوية بتوجيه جيش لمحاربة عبد الله بن الزبير[31] حينما تحصن بمكة[32].

كذلك داود بن علي بن عبد الله (ت133هـــ/750م) أول والٍ لبني العباس على مكة والمدينة النبوية[34]، وتذكر الروايات أنه قتل من ظفر به من بني أمية هناك، ولعلّه أراد بذلك أن يتخلص من بقايا البيت الحاكم السابق حتى يترسخ الحكم لبني العباس، نظرًا لأهمية هذا المكان المقدس في نفوس المسلمين، ولأهميته في إضفاء الصفة الشرعية لدولة بني العباس الناشئة، ولكن كان بإمكانه نفيهم بعيدًا بدلًا من قتلهم، ويبدو أن ذلك حتى لا تقوم لهم قائمة مرة أخرى؛ ليستردوا ملكهم. وللأسف كان من جملة القتلى علماء من بني أمية.

والحسن بن زيد بن الحسن (ت168هـــ / 784م) الذي ولاه المنصور المدينة النبوية[37]، وهو أوّل والٍ من العلويين استعمله العباسيين على المدينة النبوية، وقد يكون الدافع من وراء ذلك تسلية قلوب العلويون جراء ما حلّ بهم بعد ثورة محمد النفس ذو الزكيّة، وقد استمرت ولايته خمس سنوات.

ومن العلماء أيضًا الذين تولوا هذا المنصب داود بن عيسى بن موسى (عاش في القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي) كان أمير على مكة والمدينة النبوية، وحينذاك حدثت الفتنة بين الأمين والمأمون، وكتب الأمين إلى داود بن عيسى أمره بخلع المأمون عن ولاية العهد، فجمع داود كبار علماء مكة، واستشارهم، خاصة وأن الرشيد كان قد أشهد جمع غفير من علماء مكة على مبايعة الأمين بولاية العهد، ومن بعده أخويه، لذا اتفق الجميع أن من واجبهم خلع الأمين ومبايعة المأمون، ثم جمع داود الناس، وشرح لهم الموقف، وأن الأمين قد نقض عهده مع والده بما فعله اتجاه أخيه المأمون، ولذا يجب خلعه، فاستجاب أهل مكة له، وخلعوا الأمين، وبايعوا المأمون، وكتب إلى ابنه سليمان –الذي كان نائبه على المدينة النبوية– يأمره بجمع أهل المدينة النبوية، والمطالبة بخلع الأمين، ومبايعة المأمون بالخلافة، وما إن تم هذا الأمر، حتى ذهب داود بنفسه إلى خراسان لأعلام المأمون بمبايعة أهل مكة، والمدينة النبوية له بالخلافة، وقد فرح المأمون بتلك المبايعة؛ إذ كانت أول مبايعه له بالخلافة، وكتب إليهم كتابًا يعدهم فيه بالخير، وكتب لداود بن عيسى عهد على مكة والمدينة النبوية، وبمعونة خمسمائة ألف درهم.

ومن مشاركات العلماء أيضًا في الحياة السياسية عملهم على نشر الأمن والأمان، وذلك بالتصدي للمغيرين على الحجاز، فقد تعرضت مكة خلال فترة ولاية هارون بن محمد (ت288هـ/901م) لهجوم الطولونيون سنة 269هـ/882م، فهرب الأمير إلى بستان ابن عامر[45]؛ لعدم قدرته على التصدي للغزاة، فلما وصل الطولونيون إلى مكة قاموا باستمالة الناس بتوزيع الأموال عليهم، فسارع العباسيون إلى إرسال جيش للحجاز، فما إن وصل إلى مكة حتى انضم إليه محمد بن هارون بجيشه البالغ مائة وعشرون فارسًا، ومائتي من العبيد، فتقابل الجيشان العباسي والطولوني، وانتهى الاشتباك بانهزام الجيش الطولوني[46].

أما العلاقة بين العلماء وأصحاب السلطان، فنجد أن العلماء هم أهل الشورى الذين يرجع إليهم أصحاب السلطان في إدارة شئون الدولة أو الإمارة، ومن ذلك عندما قد معمر بن عبدالعزيز المدينة النبوية واليًا عليها دعا بعض فقهائها، وهم: عروة بن الزبير (ت94هـ/713م)، وعبيد الله بن عبد الله (ت97هـ/716م، وقيل: 98هـ/717م)، وسليمان بن يسار (ت103هـ/722م، وقيل: 107هـ/725م)، والقاسم بن محمد (ت108هـ/726م، وقيل: 109هـ/727م)، وسالم بن عبد الله (ت106هـ/724م)، وخارجة بن زيد (ت99هـ/718م، وقيل: 100هـ/719م)، وأبا بكر بن عبد الرحمن (ت94هـ/713م)، وأبا بكر بن سليمان بن أبي حثمة (توفي في حدود المائة للهجرة/السبعمائة الميلادية)، وعبد الله بن عامر بن ربيعة (ت85هـ/704م)، وقال لهم:" إني دعوتكم لأمر تؤجرون فيه، ونكون فيه أعوانًا على الحق، ما أريد أن أقطع أمرًا إلا برأيكم، أو برأي من حضر منكم، فإن رأيتم أحدًا يتعدى، أو بلغكم عن عامل ظلامة، فأحرِّج بالله على من بلغه ذلك إلا أبلغني[56]"، وكذلك الوالي عبد الواحد بن عبدالله النصري كان لا يقطع أمرًا إلا بعد استشارة القاسم بن محمد، وسالم بن عبد الله[58]، فنجد أن العلماء كانوا بمثابة مستشارين للوالي، وعينه لمراقبة العمال ومحاسبتهم على ما يصدر منهم من مخالفات.

أما إذا صدر عن الأمير إساءة، أو ارتكب مظلمة بحق أحد من الرعية سواء أكانت تلك الإساءة أو المظلمة عن سوء قصد، أو عن نية حسنة، فمن واجب العلماء أن ينكروا عليهم ذلك، وأن يحاسبوهم عليه؛ وذلك حفظًا على بيضة الإسلام، ورعاية لشئون المسلمين[59]، ومن ذلك أن والي المدينة النبوية استفتى مالكًا ابن أنس (ت179هـ/795م) في مسألة، فأبى أن يجيبه بحجة توليته خيثم بن عراك على المسلمين، فعزله عن منصبه، وعندئذ أفتاه

الإمام مالك على مسألته[62]، كما كان ينصح الولاة بتفقد أمور الرعية، فلا غرو أن يحظَ مالك بهذه المكانة لدى الأمراء، خاصة وأن الخليفة المنصور قد أبلغه: "إن رابك ريب في عامل المدينة أو سوء سيرة في الرعية، فاكتب إلي بذلك أنزل بهم ما يستحقون، وقد كتبت إلى عمالي بهذا أن يسمعوا منك، ويطيعوا في كل ما تعهد إليهم فانهم عن المنكر، وأمرهم بالمعروف[63]"،وكذا عبداللّه بن عبدالرحمن الأنصاري (ت 134هـ/751م)كان يدخل على الوالي، فينصحه[65].وليس هذا بمستغرب على العلماء، فهم الثلة الواعية البصيرة بأمر هذا الدين، والقادرة على التصدي والمواجهة، فلا تأخذهم بالله لومة لائم، لذا ينكرون ما يرونه مخالفًا للشريعة الإسلامية، ويتمسكون بكل ما من شأنه أن يكون عضدًا لها، فيناضلون من أجله.

إلا أن هناك من الأمراء من لم يقبل النصح والإرشاد من العلماء، فذاق وبال أمره، ومن ذلك – مثلًا– الأمير عبدالرحمن بن الضحاك الذي لم يأخذ برأي محمد بن مسلم الزهري (ت124هـ/742م) الذي أشار عليه بأن يسأل القاسم بن محمد، وسالم بن عبد الله إذا أشكل عليه أمر، بل العكس من ذلك قام بمعاداة الأنصار، فبغضه الناس، وذمه الشعراء[68].

ولهذا عُد أسلوب المناصحة للخلفاء والأمراء من أنجح الطرق التي سلكها العلماء في توجيه الحكومات الإسلامية لما فيه خير الأمة جمعاء، وقد منح قدوم الخلفاء إلى الحجاز لأداء الحج والزيارة فرصة للعلماء للقيام بدورهم بوعظ الخلفاء وتذكيرهم بأمور الرعية، ومن ذلك: دخل سفيان الثوري (ت161هـ/778م) على الخليفة المنصور حين قدم للحج، فقال له: " اتقِ الله فإنما أنزلت هذه المنزلة وصرت في هذا الموضع بسيوف المهاجرين والأنصار، وأبناؤهم يموتون جوعًا، حج عمر بن الخطاب فما أنفق إلا خمسة عشر دينارًا، وكان ينزل تحت الشجر،

فقال: فإنما تريد أن أكون مثلك؟، قال: لا تكن مثلي، ولكن كن دون ما أنت فيه، وفوق ما أنا فيه[69]".

كما دخل مالك بن أنس يومًا على هارون الرشيد فحثه على مصالح المسلمين، وقال له: "لقد بلغني أن عمر بن الخطاب كان في فضله وقدمه ينفخ لهم عام الرمادة النار تحت القدور يخرج الدخان من لحيته وقد رضي الناس منكم بدون هذا[72]". كما وقف عبد الله بن عبد العزيز العمري (ت184هـ/800م) للخليفة الرشيد حين قدم للحج، وقد أُخلي له المسعى، فصاح به العمري "يا هارون، فلما نظر إليه قال: لبيك يا عم، قال: ارق الصفا، فلما رقيه، قال: ارم بطرفك إلى البيت. قال: قد فعلت، قال: كم هم، قال: ومن يحصيهم، قال: فكم في الناس مثلهم، قال: خلق لا يحصيهم إلا الله، قال: أعلم أيها الرجل أن كل واحد منهم يُسأل عن خاصة نفسه، وأنت وحدك تُسأل عنهم كلهم، فانظر كيف تكون[74]".

ب) دورهم في الحياة الاجتماعية:

لم يكن العلماء بمعزل عن الحياة الاجتماعية وما يرتبط بها، فكان من أولوياتهم في كل عصر ومكان تصحيح أخلاق المجتمع، وتقوية إيمان أفراده، وربطهم بالكتاب والسنة، فنرى أن عطاء بن أبي رباح(ت114هـ/732م) كان ينهى الناس عن فضول الكلام، ويرشدهم أن ما عدا قراءة القرآن الكريم، أو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أو النطق بحاجة في المعيشة التي لا بد منها، فإنه يُعد من حديث الهذرة الذي لا فائدة منه [75]، كما كان ينهاهم عن مقاطعة الحديث، فقد تحدث رجل في مجلسه بحديث، فاعترض أحدهم حديثه، مما أغضب عطاء قائلًا: "سبحان الله ما هذه الأخلاق!، ما هذه الأخلاق!،أني لأسمع الحديث من الرجل، وأنا أعلم منه به، فأريه أني لا أحسن منه شيئا[76]".

كما وجه سعيد بن المسيب (ت94هـ/713م) عدة نصائح لجمهور الناس، قائلًا: " لا تملئوا أعينكم من أعوان الظلمة إلا بإنكار من قلوبكم لكي لا تحبط أعمالكم الصالحة[77]"، و"لا تقولن مُصيحف، ولا مُسيجد، ولكن عظموا ما عظم الله[78]". وكان عبد الله بن عبد العزيز العمري يُشدد على أن من ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مخافة المخلوقين نزعت منه هيبة الله تعالى، فلو أمر بعض ولده أو بعض مواليه لست خفّبه[79].

كما أشترك العلماء على اختلاف طبقاتهم كل على قدر استطاعته في النهوض بأعباء الأهالي، واستقصاء كل ما من شأنه أن يقلقهم أو ينغص عيشهم، بما هيأ الله للعلماء من أسباب مادية ومعنوية، فمثلًا عطاء بن أبي رباح أوصى الخليفة هشام بن عبد الملك[80]بأهل الحرمين أن يقسم فيهم أعطياتهم وأرزاقهم، وأن يرد لأهل الحجاز فضول صدقاتهم فيهم[81]. وقد دخل الإمام مالك بن أنس على الخليفة العباسي المهدي فأوصاه بأهل المدينة النبوية، فأخرج المهدي عطاءًا كثيرًا، وطاف بنفسه على دورها[83].

وكان سفيان بن عيينة (ت198هـ/814م) يحث على عدم مجالسة الظلمة، فقد جاء الفضل بن العباس والي مكة، فقال سفيان لمن عنده: " لا تجالسوه، حبس رجلًا في السجن، ما يؤمنك أن يقع السجن عليه، قُم، فأخرِجه[86]".

كذلك جاءت امرأة إلى سفيان الثوري (ت161هـ/778م)تشتكي إليه حبس ابنها بسببه، فذهب الثوري إلى الأمير ليطلب منه إخراجه، فتعذر الأمير بأن باب السجن مغلق في هذا الوقت من الليل، ولكن سفيان أبى أن يبرح مكانه حتى يخرج الرجل، فأمر الأمير بجلب مفاتيح باب السجن لإخراج الرجل[88].

وقد ساهم العلماء في التكافل الاجتماعي بمساعدة المحتاجين والفقراء والمعوزين، وذلك نابع من إحساسهم بحاجة عامة المسلمين، ولحماية المجتمع من الانحرافات السلوكية والخُلقية التي قد تطرأ عليه نتيجة نوائب الدهر، فنجد أن عبدالله بن عروة بن الزبير(ت125هـ/743م) قد أدخل الناس لبستانه حين أُصيبت البلاد بالقحط أيام هشام بن عبد الملك؛ ليأكلوا من ثمره ليلًا ونهارًا، فما زال يفعل حتى انتهت سنوات القحط السبع[90]. ومحمد بن شهاب الزهري (ت124هـ/742م) كان يخرج إلى البادية، فيقرى الأعراب السمن والتمر[91]. وأما المغيرة بن عبد الرحمن المخزومي (توفى في القرن الثاني الهجري/الثامن الميلادي) فكان يطعم الطعام، وينحر الجزور، ويأمر بالسكر والجوز، فيدقان ويطعمهما أهل الصفة والمساكين بالمدينة النبوية، كما أوقف المغيرة طعامًا يصنع بمنى أيام الحج[93]. وكذا محمد بن المنكدر (ت130هـ/748م، وقيل: 131هـ/ 749م) كان يطعم الحجاج بمنى، ويقول: "إن من موجبات المغفرة إطعام المسكين السغبان[95][96]". وسعد بن إبراهيم القرشي (توفى ما بين 125-128هـ/743-746م) كان يرسل من يأتيه بالمساكين في العشر الأواخر من رمضان ليفطروا معه[98]. وسالم بن عبد الله كان يرسل مولاه ليأتيه بأحد المساكين؛ لأنه كان لا يأكل إلا معه مسكين[99].

وكان عامر بن عبد الله بن الزبير (ت124هـ/742م) يتحيّن فرصة سجود العباد أمثال أبا حازم (ت140هـ/757م، وقيل: 144هـ/761م)، وصفوان بن سليم (ت124هـ/742م، وقيل: 132هـ/750م)، وسليمان بن شحم، وغيرهم، فيضعصرّة فيها دنانير ودراهم عند نعالهم؛ كراهة أن يتغير وجه أحدهم إذا لقيه؛ وذلك مراعاة لمشاعرهم، وعدم إحراجهم. وقد قدم محمد بن إدريس الشافعي(ت204هـ/819م) مرة من اليمن ومعه

عشرون ألف دينار، فنصب خيمته خارج مكة، ولميبرح مكانه حتى فرقها كلها على المحتاجين من الفقراء والمعوزين. وموسى بن جعفر الهاشمي (ت183هـ/799م) كان يصر الصرر ثلاثمائة دينار، وأربعمائة دينار، ويقسمها على المحتاجين في المدينة النبوية[106].

كذلك من صور التكافل الاجتماعي التي كان للعلماء يدٌ فيها مساعدة الشباب على الزواج، وترغيبهم فيه، فنجد أن هشام بن عروة بن الزبير (ت146هـ/763م) كان يساعد أقاربه من الشباب على الزواج، وذلك باتخاذ منازل لهم، وإقامة ولائم العرس[108]. وبلا ريب أن مثل هذه الأمور تقلل من الانحرافات داخل المجتمعات، وتزيد من الألفة والتقارب بين أفراده.

كما بذل العلماء جهدهم في سبيل تثقيف وتعليم أبناء المسلمين، وتشجيع الآباء على تعليم أبنائهم، وتوجيه الطلاب للعلماء البارزين في الحجاز، والعناية بالموهوبين منهم[109]. ومن ذلك –مثلًا–أن محمد بن إدريس الشافعي كان يتيمًا، ولم تستطع أمه أن تعطي المعلم شيئًا، فرضي المعلم أن يخلفه الشافعي على الدرس إذا قام[110]. وهذا ميمون بن مهران(ت117هـ/735م) حينما أتى المدينة النبوية، وسأل عن أفقه أهلها وجهه العلماء الآخرين إلى سعيد بن المسيب؛ لكونه أفقههم[112].

كما ساهم العلماء الميسورين في الإنفاق على غيرهم من العلماء وطلاب العلم، فأحمد بن حمدويه النيسابوري (ت315هـ/927م) كان كثير الإحسان للمحدثين. ودعلج بن أحمد السجستاني (ت351هـ/962م) له صدقات
جارية، وأوقاف يذهب ريعه الأهل الحديث بمكة، وبغداد، وسجستان[116].

ج) دورهم في الحياة الاقتصادية:

النشاط الاقتصادي في الإسلام يمكن أن يتحول من نشاط مادي بحت إلى عبادة يثاب المسلم عليها إذا ابتغى بنشاطه ذلك وجه الله سبحانه، وهذا يكشف لنا عن سبب اهتمام العلماء بتوجيه وحث الناس على العمل والكسب، فسعيد بن المسيب كان يقول: " لا خير فيمن لا يريد جمع المال من حِلِّه يُعطي منه حقه، ويكف به وجهه عن الناس، ويصون به عِرضه، ويقضي به ذِمامه، وإن مات تركه ميراثًا لِمن بعده [117]"، وكان مجاهد بن جبر(ت103هـ/722م) يقول: "إذارزق الله أحدكم ألف درهم فلا ينفقها، ويقول: إن الله سيرزقني، ولكن يبتغي فيها من فضل الله[119]"، كذلك أجاب الفضيل بن عياض (ت187هـ/803م) حينما سئل عن رجل قعد في بيته دون أن يتكسب، ويزعم أنه يثق بالله فيأتيه برزقه، بأن الأنبياء لم يفعلوا هذا، بل كانوا يؤاجِرُون أنفسهم، ولم يقعدوا حتى يرزقهم اللهﷻ، ولذا لابد من طلب المعيشة والكسب الحلال[121].

وقد عاب سفيان الثوري على الذين لا يرون العمل، وقد مر يومًا على أناس جلوس في المسجد الحرام، فقال لهم: " ما يجلسكم؟، ... اطلبوا من فضل الله، ولا تكونوا عِيَالًا على المسلمين[122]".

ومن دور العلماء الاقتصادي عنايتهم بالزراعة، فقد احتفر عبد الله بن الزبير بعض العيون، وعمل على تنمية الزراعة، فأنشأ البساتين من ماله الخاص، وحث أغنياء قريش على احياء الأرض في ضواحي مكة؛ لتوفير الحبوب والخضروات لأهلها[123]. وكذا مروان بن الحكم حينما كان واليًا على المدينة النبوية أقطع أبا هريرة (ت57هـ/677م) أراضي في العقيق، ثم آلت لولده [126] مما يعني اشتغالهم في زراعة الأرض وإحيائها، أو تأجير من يقوم بفلاحتها.

وكان رافع بن خديج الأنصاري (ت74هـ/693م) يتعاهن المزارع ويفلحها، وبلا ريب أن عدد من العلماء في الحجاز يملكون بساتين ومزارع يعمل بها الرقيق كآل الزبير، وبني الحسن، أو يؤجرون أرضهم لغيرهم لزراعتها كعروة بن الزبير الذيكان يُكرِي أرضه بالذهب والمال[128].

ومن الوظائف المرتبطة بالأرض والزراعة عامل الخراج، وقد عُهِد إلى بعض العلماء هذا المنصب، ومن ذلك –مثلًا– عبد الله بن ذكوان المعروف بأبي الزناد (ت130هـ/748م)، وعبد الرحمن بن عبد الله بن ذكوان (ت174هـ/ 790م) الذي كان يستعين بأهل الخير والورع والحديث[131].

أما في مجال التجارة فقد اشتغل بعض العلماء بها، كسفيان الثوري الذي خرج إلى اليمن للتجارة، وأيضًا كان له ولعبد العزيز بن أبي رواد (ت159هـ/776م) بضاعة يتاجرون بها مع عيسى بن ماهان المروزي[133](ت160هـ/777م)[134]. وكان سعيد بن المسيب يكثر الاختلاف إلى السوق، ويقول: " ما من تجارة أحب إليَّ من البزِّ[135]. ما لم تقع فيه الأيمان "[136]، وقد عمل بتجارة بيع الزيت[137]، وكذلك محمد بن مسلم بن جماز (ت177هـ/793م، وقيل: 179هـ/795م) قد عمل في تجارة البزّ. وأما ذكوان بن عبد الله السمان (ت101هـ/720م) فكان يتاجر بالسمن والزيت. وكان أبناء خالد بن دينار – وهم داود وشميل ويحيى – يعملون بالتجارة. وكذا عمر بن الحسين[141] عمل في تجارة الثياب، وعيسى بن أبي عيسى ميسرة[142] (ت151هـ/768م) اشتغل بعدد من الحرف كالخياطة، والحناطة[143]، والخباطة[144]، كما كان يتردد إلى الكوفة للتجارة[145].

أما إبراهيم بن حمزة القرشي (ت230هـ/845م) فكان يأتي كثيرًا إلى الربذة[146] للتجارة. بينما كانا القاسم بن محمد ومحمد بن عمرو بن حزم (ت63هـ/683م) يبيعان ثمار بستانيهما بعد جنيه، وكذلك عروة بن الزبير كان يبعث ابنه عبد الله ليحصد ثمار بستانه ليبيعها. وكذا حماد بن دليل المدائني (عاش في القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي) كان يبيع البزّ بمكة[149].

ومن جانب آخر فقد تولى بعض العلماء مراقبة الأسواق، وضبط حركة البيع والشراء، ومحاربة الغش، والتطفيف في الموازين–وهي من مهام المحتسب، كسليمان بن يسار (ت107هـ/725م)،وسليمان بن بلال (ت172هـ/788م)، والحسين بن علي الهاشمي (عاش في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي)[152]. ومع هذا يجب التأكيد بأن الاحتساب، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الأسواق والمعاملات التجارية لم يقتصر على هؤلاء العلماء فحسب، فبلا ريب أن جميع العلماء كان لهم دور بارز في هذا الصدد.

أما في الجانب الصناعي فقد شجع عبد الله بن الزبير رجال الصناعة من مهاجري الآفاق فأسسوا بيوتًا في مكة[153]، مما أسهم في تقدم الصناعة وانتعاشها على نطاق ضيق، وللأسف لم تذكر المصادر التي بين أيدينا المهن والحرف الصناعية التي عاش عليها العلماء لسد حاجاتهم، ومع هذا وجدنا أن العالم يحيى بن سليم الطائفي (ت195هـ/811م) نزل مكة، وعمل في دباغة الجلود، وعبد الله بن كثير (ت120هـ/738م) كان يشتغل بالعطارة، وعبد الجبار بن العلاء الأنصاري (248هـ/862م) كان أيضًا عطارًا[157].

د) دورهم في الحياة العلمية:

كان للعلماء دور فعال في تطور الحجاز فكريًا وحضاريًا وذلك من خلال مشاركاتهم في مختلف المراكز العلمية التي كان يتم فيها إلقاء العلوم، وقد تعددت هذه المراكز التي أسهمت بشكل كبير في الحياة العلمية والثقافية في الحجاز. وأول هذه المراكز الكتاتيب إذ تعتبر من أولى محاور العلم والتعلم، حيث كانت تؤدي دورًا بارزًا في تنشئة وتثقيف الصغار وتعليمهم القراءة والكتابة، والحساب، وعلوم العربية، وتعاليم الدين الإسلامي، فضلًا عن حفظ القرآن الكريم[158]. وأكثر هذه الكتاتيب كانت في الحرمين الشريفين، وقد كان سعيد بن المسيب إذا مرَّ بالكُتّاب يقول للصبيان: " هؤلاء الناس بعدنا[159] "، وهذا دليل واضح على مدى أهمية الكتاتيب في نظر العلماء. ومن العلماء الذين عملوا في الكُتّاب لتعليم الصبيان علقمة بن أبي علقمة (مات في القرن الثاني الهجري/ السابع الميلادي) الذي كان له كُتّاب يعلم فيه العربية والنحو والعروض[161]، وعطاء بن أبي رباح، وباذام بن صالح (توفى ما بين 111–120هـ/729–738م) [164].

فضلًا عن الحلقات العلمية التي تعقد في المساجد فكانت أشبه بمعاهد عليا وجامعات، ومن أهمها المسجد الحرام والمسجد النبوي اللذان ازدهما بحلقات الدرس والعلم، وقد حفلت كتب التراجم بأسماء العلماء الذين عقدوا دروسهم العلمية فيهما، فمن العلماء الذين عقدوا حلقات علمية في جنبات المسجد الحرام خلال فترة الدراسة – على سبيل المثال لا الحصر – عبد الله بنعباس، وعطاء بن أبي رباح، وسفيان الثوري، وعلي بن عبد الله بن العباس (ت118هـ/736م)[166].

وكذلك قيس بن سعد المكي (ت117هـ/735م، وقيل:119هـ/737م) الذي خلف عطاء بن أبي رباح في مجلسه، وسعيد بن منصور الخراساني[168] (ت227هـ/842م) كان أحد شيوخ الحرم، ومن أئمة الحديث، وله مصنّفات كثيرة، وإسحاق بن أحمد الخزاعي (ت308هـ/920م) كان مقرئ ومحدّث بالحرم، ومحمد بن إبراهيم بن المنذر (ت318هـ/930م) كان شيخ الحرم، وله بعض المصنّفات في الفقه[171].

أما المدينة النبوية فقد اتجهت أنظار العلماء بها للمسجد النبوي بشكل كبير، فقد توزعت الحلقات العلمية في جنبات المسجد، فنجد أن بعض العلماء قد اشترك في مجلس واحد كالقاسم بن محمد، وسالم بن عبد الله، ثم جلس فيه بعدهما عبد الرحمن بن القاسم (ت126هـ/744م)، وعبيد الله بن عمر(ت147هـ/764م)، ثم جلس فيه بعدهما مالك بن أنس. وكذا اشترك أبو الزناد عبد الله بن ذكوان، وربيعة الرأي (ت136هـ/753م) في حلقة، ثم افترقا بعد ذلك، فأصبح لكل منهما حلقته الخاصة، وقد جلس مع ربيعة محمد بن علي بن حسين (ت 114هـ/732م، وقيل:117هـ/735م)[176].

وكان لبعض الأسر حلقات في المسجد النبوي، كآل حزم كانت لهم حلقة في المسجد، مثل أبو بكر بن محمد(ت120هـ/738م)، وابنه عبد الله (ت135هـ/752م)، وأبو طوالة عبد الله. وكذا آل عقبة إبراهيم، وموسى (ت141هـ/758م)، ومحمد كانوا كلهم فقهاء محدثين لهم حلقة في مسجد رسول اللهﷺ. ولإسحاق بن عبد الله (ت144هـ/761م) حلقة في المسجد يجلس إليه فيها أهله، وكان عدة من إخوته يفتون ويحدثون، كصالح(ت124هـ/742م)، وعبد الحكيم (ت156هـ/773م)، وعبد الأعلى (توفى ما بين 151-160هـ/768-777م)، ويونس. وكذا آل أبي صعصعة كان لهم حلقة

في المسجد، وكانوا من أهل العلم، فقد كان كلهم يفتي، كمحمد بن عبد الله (ت139هـ/756م) [80].

وكانت لمحمد بن عبد الرحمن بن أبي ذئب (ت158هـ/775م، وقيل: 159ه/776م) حلقة بالمسجد يحدث فيها، ومحمد بن عجلان (ت148هـ/765م، وقيل: 149هـ/766م) له حلقة يفتي فيها[81].

وينبغي ألا نهمل ذكر منازل العلماء التي تعتبر كأحد المراكز العلمية، حيث يعقد العلماء الدروس لطلاب العلم في منازلهم، ومن هؤلاء العلماء الذين فتحوا أبوابهم للعلماء والطلاب عبيد الله بن أبي يزيد (ت126هـ/744م) الذي شاخ ورقَّ عظمه، فلم يعد يستطيع الخروج للمسجد، لذا كان يحدّث في مترله[82]، وكذا مالك بن أنس الذي ازدحم الناس على بابه[83]، وسفيان بن عيينة(ت198هـ/814م).

كذلك كان عدد من علماء المدينة النبوية يجتمعون في مترل يعقوب بن عتبة (ت128هـ/843م)، وتارة أخرى في مترل عبد الله بن يزيد بن هرمز (ت148هـ/765م)، فيتدارسون الفقه [84]. هكذا ظلت حلقات العلم تؤدي وظيفتها في مختلف الأماكن بالحجاز، وتنقل معارفها من جيل إلى آخر.

وقد اكتظ الحجاز بجمهور كبير من العلماء الذين تنوعت اختصاصاتهم واهتماماتهم العلمية، فمنهم القراء، والمفسرون، والمحدثون، والفقهاء، والأخباريون، والنسابون، واللغويون، والأدباء وغيرهم ممن آثروا الحياة العلمية بمختلف ميادينها خلال فترة الدراسة، وقد قصدهم طلاب العلم الحجازيين والوافدين من مختلف الأمصار الإسلامية.

ولا يتسع المجال لتناول جهود العلماء المسلمين ودورهم في الحياة العلمية في الحجاز خلال فترة الدراسة، ومع ذلك تبقى مجهوداتهم تلك محفوظة، ومحل تقدير من أبناء المسلمين وغيرهم.

وصفوة القول، أن العلماء كانوا – وما زالوا – يشكلون جزءًا لا يتجزأ من المجتمع، ولكنهم يتميزون عن غيرهم بمميزات ومؤهلات تؤهلهم لاحترام وتقدير كبيرين علاوةً على النظرة الاجتماعية الرفيعة التي يتمتعون بها من قبل الخاصة والعامة في المجتمعات التي يعيشون فيها، لذلك فلا غرو أن يكون لهم دور مهم وفعّال كأعظم محرك للأحداث ومجرياتها بمختلف مناشط الحياة، ويضاف إلى ذلك مشاركتهم في الناحية الأمنية؛ حيث تولى بعضهم منصب الشرطة كمصعب بن عبد الرحمن بن عوف (ت64هـ/684م)، وعمرو بن الزبير (ت60هـ/777م)، وعراك بن مالك (ت104هـ/722م)، ومحمد بن عبد الله الكندي ، وأحمد بن أبي بكر بن مصعب (ت242هـ/856م)، هذا فضلًا عن إحساس العلماء أنفسهم بما أنيط بهم من واجب ديني لإبداء ما قد يرونه من ملاحظات واقتراحات متنوعة للسلطات القائمة.

الخاتمة

بحمد الله وتوفيقه، انتهى موضوع البحث الذي تناول مكانة العلماء ودورهم في الحجاز من منتصف القرن الأول إلى القرن الرابع الهجري/ من منتصف القرن السابع إلى القرن العاشر الميلادي، ويمكن استنتاج ما يلي:

- اختلاف العلماء بالمقصود بأولي الأمر هل هم الخلفاء والسلاطين والأمراء والولاة أم العلماء، واتفاقهم أخيرًا على أن كل من ولي شيئًا من أمور المسلمين يعد ولي الأمر،

وعليه فإنه يدخل تحت هذا المسمى الخلفاء والسلاطين والأمراء والعلماء والقضاة وكل إنسان وليّ أمر على مسلمين.

- حظي العلماء بمنزلة رفيعة في الإسلام بما خصهم الله من اقتران شهادتهم بشهادته ﷻ وملائكته، ورفع درجاتهم على سائر الخلق.
- تمتع العلماء بحظوة لدى الخاصة والعامة من الناس، فعمل الخلفاء والولاة على تقريبهم منهم ومجالستهم، واستشارتهم في أمور المسلمين، وتوليتهم عدد من المناصب في الدولة كالأمارة، والقضاء، والشرطة، والحسبة.
- مشاركة العلماء واسهامهم في جميع مناشط الحياة المختلفة ليس في الحجاز فحسب، بل في كل رقعة تواجدوا بها، ومؤازرتهم للحكومة والشعب عند نزول المحن.
- اتضح جليًا أن هدف العلماء من مجالسة الخلفاء والأمراء ليس لتحقيق مكاسب مادية، بل هدفوا لتحقيق الأمن والاستقرار السياسي والاجتماعي والاقتصادي لأهل الحجاز، وذلك بما قدموه من نصح وتوجيهات ووصايا للخلفاء بأهل الحرمين.
- ساهم العلماء في نشر الوعي في المجتمع الحجازي، وتشجيعهم على العلم والعمل، وتقويم أخلاق بعضهم.
- تعدد المراكز العلمية التي أسهمت في تنشيط الحياة العلمية والثقافية في الحجاز ما بين كتاتيب وحلقات علمية أقامها العلماء في المساجد عامة، والحرمين الشريفين خاصة، فكانا أشبه بمعاهد وجامعات عليا، هذا فضلًا عن منازل العلماء التي أسهمت في تنشيط الحياة العلمية.

هوامش البحث:

1) المخزومي، مجاهد بن جبر القرشي: تفسير مجاهد، تحقيق محمد عبد السلام أبو النيل، (مصر: دار الفكر الإسلامي الحديثة، ط1، 1410هـ/ 1989م)، ص285 . الطبري، محمد بن جرير بن يزيد: جامع البيان في تأويل آي القرآن، ج7، تحقيق عبد الله عبد المحسن التركي، (الجيزة: دار هجر، ط1، 1422هـ/1989م)، ص176-180. الآجري، محمد بن الحسين بن عبد الله: أخلاق العلماء، مراجعة إسماعيل بن محمد الأنصاري، (السعودية: رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، (د.ط)، (د.ت))، ص21. الزمخشري، محمود بن عمر بن أحمد: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وحوه التأويل، ج1، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود، ص524. البيضاوي، عبد الله بن عمر بن محمد: تفسير البيضاوي المسمى أنوار التنزيل وأسرار التأويل، مج2، ص80.

2) النووي، يحيى بن شرف: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، ج12، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط2، 1392م)، ص223.

3) ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم: مجموع الفتاوى، ج28، تحقيق عبد الرحمن محمد قاسم، (المدينة المنورة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، (د.ط)، 1416هـ/1995م)، ص170.

4) ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد: مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة،ج1، (بيروت: دار الكتب العلمية، (د.ط)، (د.ت))، ص 48- 49.

5) الغزالي، محمد بن محمد الطوسي: إحياء علوم الدين، ج1، (بيروت: دار المعرفة، (د.ط)، (د.ت))، ص5. ابن قيم الجوزية: المصدر السابق، ج1، ص121.

6) الغزالي: إحياء علوم الدين، ج1، ص 8.

7) ابن تيمية: مجموع الفتاوى، ج20، ص 232. أبو العز الدمشقي، علي بن علي بن محمد: شرح العقيدة الطحاوية، ج2،تحقيق عبدالله عبد المحسن التركي، (أبها: دار هجر للنشر والتوزيع، ط4، 1419هـ/ 1998م)، ص 741.

8) ستيفن م. ميلر، وروبرت ڤ. هوبر: تاريخ الكتاب المقدس منذ عهد التكوين وحتى اليوم، ترجمة وليم وهبه، ووجدي وهبه، (القاهرة: دار الثقافة، ط1، 2008م)، ص 75، 76، 77، 219.

9) أحمد ديدات: خمسون ألف خطأ في الكتاب المقدس وحوار البابا مع المسلمين، ترجمة رمضان الصفناوي البدري، (القاهرة: دار المختار الإسلامي، (د.ط)، (د.ت))، ص30. نخبة من الأساتذة ذوي الاختصاص ومن

اللاهوتيين: قاموس الكتاب المقدس، هيئة التحرير بطرس عبد الملك، وجون ألكسندر طمسن، وإبراهيم مطر، (بيروت: شركة Compubraill، 1971م)، ص162.

10) ابن كثير، إسماعيل بن عمر: البداية والنهاية، ج14، (بيروت: دار الفكر، (د.ط)، 1407هـ/1986م)، ص79-81. مريم محمد عوض بن لادن: دور ابن تيمية في الجهاد ضد المغول الأيلخانيين من سنة 661هـ إلى 728هـ. رسالة ماجستير غير منشورة، مكةالمكرمة، جامعة أم القرى، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، قسم الدراسات العليا للتاريخ والحضارة الإسلامية، 1403هـ/1983م، ص133، 146.

11) الخطيب البغدادي، أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي: الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، ج1، تحقيق محمود الطحان، (الرياض: مكتبة المعارف، (د.ط)، (د.ت))، ص188.

12) الخطيب البغدادي: الفقيه والمتفقه، ج1، تحقيق عادل يوسف الغرازي، (السعودية: دار ابن الجوزي، ط2، 1421هـ)، ص139. ابن عساكر: نفس المصدر، ج18، ص177. المزي: نفس المصدر، ج9، ص217.

13) عبد الرحمن المصنف: عبد الرحمن أحمد حفظ الدين المصنف: الحياة العلمية في الحجاز في القرنين الثالث والرابع الهجريين، رسالة دكتوراه غير منشورة، صنعاء، جامعة صنعاء، كلية الآداب، قسم التاريخ، 1424هـ/2003م، ص128.

14) أبو نعيم الأصبهاني، أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ج2، (مصر: السعادة، (د.ط)، 1394هـ/1974م)، ص173. ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن عبيدالله: صفة الصفوة، ج1، تحقيق أحمد بن علي، (القاهرة: دار الحديث، (د.ط)، 1421هـ/2000م)، ص346.الذهبي:سير أعلام النبلاء، ج4، ص224 – 225.

15) الخطيب البغدادي: الفقيه والمتفقه، ج1، ص140. ابن الجوزي: نفس المصدر، مج1، ص415. الفاسي، محمد بن أحمد الحسني: العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، ج6، تحقيق محمد عبد القادر أحمد عطا،(بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1419هـ/ 1998م)، ص89 – 90.

16) ابن سعد: المصدر السابق، ج3، ص438. خليفة بن خياط، خليفة بن خياط بن خليفة بن خياط الشيباني: تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق أكرم ضياء العمري، (دمشق: دار القلم، ط2، 1397هـ)،

ص231. السخاوي، شمس الدين: التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، ج3، عنى بطبعه ونشره أسعد طرابزوني الحسيني، (القاهرة: دار نشر الثقافة، 1400هـ/1980م)، ص 299.

17) خليفة بن خياط: المصدر السابق، ص412. الفاسي: العقد الثمين، ج4، ص63. النجم عمر بن فهد، محمد بن محمد بن محمد بن محمد: إتحاف الورى بأخبار أم القرى، ج2،تحقيق فهيم محمد شلتوت، (القاهرة: مكتبة الخانجي، ط3، 1426هـ/2005)، ص170.

18) ابن سعد: الطبقات، ج4، ص172. الذهبي: تاريخ الإسلام، مج4، ص333. السخاوي: المصدر السابق، ج1، ص479.

19) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج8، (بيروت: دار التراث، ط2، 1387هـ)، ص439-440. ابن الأثير: الكامل، ج5، ص432-433. الفاسي: العقد الثمين، ج4، ص357-358.

20) الجزيري، عبد القادر بن محمد بن عبد القادر بن محمد: الدرر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة، مج1، تحقيق محمد حسن محمد حسن إسماعيل، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1422هـ/2002م)، ص313. أحمد السباعي: تاريخ مكة دراسات في السياسة والعلم والاجتماع والعمران، ج1، (مكة: مطابع دار قريش، ط3، 1385هـ)، ص148-149.

21) ابن سعد: المصدر السابق، ج4، ص18. ابن الجوزي: سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز الخليفة الزاهد، ضبط وشرح وتعليق نعيم زرزور، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1404هـ/1984م)، ص41. الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج5، ص118.

22) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج37، ص250. المزي: تهذيب الكمال، ج18، ص462. ابن حجر العسقلاني: تهذيب التهذيب، مج6، ص437.

23) عبد العزيز البدري: الإسلام بين العلماء والحكام، (المدينة المنورة: المكتبة العلمية، (د.ط)، 1966م)، ص16.

24) القاضي عياض، عياض بن موسى اليحصبي: ترتيب المدارك وتقريب المسالك، تحقيق عبد القادر الصحراوي، (المحمدية: مطبعة فضالة، ط1، 1966م)، ج2، ص111. ابن حجر العسقلاني: نفس المصدر، مج3، ص137. السخاوي: نفس المصدر، ج2، ص16.

25) القاضي عياض: نفس المصدر، ج2، ص96-98.

26) مالك: نفس المصدر، ج1، ص262 .

27) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج7، ص14. ابن كثير: البداية والنهاية، ج9، ص229. السخاوي: المصدر السابق، ج2، ص500.

28) ابن أبي حاتم: المصدر السابق، ص106. الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج7، ص263. بينما ذكرا الخطيب البغدادي والذهبي بأن الثوري وجه كلامه هذا للخليفة المهدي. الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج10، ص219. الذهبي: نفس المصدر، ج7، ص257.

29) القاضي عياض: ترتيب المدارك، ج2، ص95.

30) ابن الجوزي: المصدر السابق، مج9، ص99. ابن الجوزي: صفة الصفوة، ج1، ص398. الجزيري: الدرر الفرائد، مج2، ص342-343.

31) أبو نعيم الأصبهاني: حلية الأولياء، ج3، ص314. ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج40، ص398. ابن الجوزي: صفة الصفوة، ج1، ص415. الفاسي: العقد الثمين، ج6، ص90.

32) أبو نعيم الأصبهاني: نفس المصدر، ج3، ص311. ابن الجوزي: نفس المصدر، ج1، ص416. الفاسي: نفس المصدر، ج6، ص90.

33) أبو نعيم الأصبهاني: نفس المصدر، ج2، ص170.

34) ابن سعد: الطبقات، ج3، ص365. أبو نعيم الأصبهاني: نفس المصدر، ج2، ص172.

35) ابن الجوزي: صفة الصفوة، ج1، ص398. الذهبي: تاريخ الإسلام، مج4، ص877.

36) الفاكهي، محمد بن إسحاق بن العباس: أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه، ج2، تحقيق عبد الملك عبد الله بن دهيش، (بيروت: دار خضر، ط2، 1414هـ)، ص324. ابن عساكر: المصدر السابق، ج 40، ص368. الفاسي: المصدر السابق، ج6، ص92.

37) القاضي عياض: ترتيب المدارك، ج2، ص109-110.

38) الخلال، أحمد بن محمد بن هارون بن يزيد: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، تحقيق يحيى مراد، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1424ه/2003م)، ص 30.

39) الخلال: المصدر السابق، ص34.

40) الزبيري، مصعب بن عبد الله بن مصعب بن ثابت: نسب قريش، تحقيق ليفي بروفنسال، (القاهرة: دار المعارف، ط3، (د.ت))، ص246. الزبير بن بكار: نفس المصدر، ص265- 266. ابن قدامة، عبد الله بن

أحمد بن محمد المقدسي: التبيين في أنسابالقرشيين، تحقيق محمد نايف الدليمي، (بغداد: المجمع العلمي العراقي، ط1، 1402هـ/1982م)، ص232. البكجري: إكمال تهذيب الكمال، ج8، ص67-68.

41) الفسوي: المعرفة والتاريخ، ج1، ص632. ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج55، ص380.

42) الزبيري: المصدر السابق، ص305. ابن عساكر: نفس المصدر، ج60، ص69، 75. ابن قدامة: المصدر السابق، ص322. المزي: نفس المصدر، ج28، ص386-387.

43) السغبان: يقصد به الجوعان. انظر، الجوهري، إسماعيل بن حماد: تاج اللغة وصحاح العربية، ج1، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، (بيروت: دار العلم للملايين، ط4، 1407هـ/1987م)، ص147. ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي: لسان العرب، ج1، (بيروت: دار صادر، ط3، 1414هـ)، ص468.

44) أبو نعيم الأصبهاني: حلية الأولياء، ج3، ص149.

45) أبو نعيم الأصبهاني: المصدر السابق، ج3، ص170.

46) ابن عساكر: المصدر السابق، ج20، ص60.

47) ابن سعد: الطبقات، ج4، ص110. أبو نعيم الأصبهاني: حلية الأولياء، ج3، ص152. الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج15، ص14. ابن الجوزي: صفة الصفوة، مج1، ص373، 437. ابن قدامة: التبيين، ص227. ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج5، ص308. المزي: تهذيب الكمال، ج29، ص45. الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج5، ص360.

48) الخطيب البغدادي: نفس المصدر، ج16، ص59. ابن خلكان: المصدر السابق، ج6، ص81. الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج6، ص45، ج7، ص85. الذهبي: تاريخ الإسلام، مج3، ص1002.

49) عبد العزيز بن راشد السنيدي: الحياة العلمية في مكة خلال القرنين الثاني والثالث الهجريين، (الرياض: مطبعة سفير، ط1، 1424هـ/2003م)، ص416.

50) ابن الجوزي: المصدر السابق، مج1، ص434. الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج10، ص11.

51) ابن سعد: نفس المصدر، ج2، ص36. ابن حجر العسقلاني: نفس المصدر، مج10، ص391.

52) الخطيب البغدادي: المصدر السابق، ج9، ص366. ابن خلكان: المصدر السابق، ج2، ص271. الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج16، ص31.الذهبي: تاريخ الإسلام، مج7، ص288. السبكي: المصدر السابق، ج3،ص291. الفاسي: العقد الثمين، ج3، ص22.

53) الخلال: الحث على التجارة والصناعة والعمل، (الرياض: دار العاصمة، ط1، 1407هـ)، ص80. أبو نعيم الأصبهاني: حلية الأولياء، ج2، ص173.

54) الخلال: الحث على التجارة، ص82.

55) السباعي: تاريخ مكة، ج1، ص113–114.

56) السمهودي، علي بن عبد الله بن أحمد: وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج3، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1419هـ)، ص197– 198 ، 206.

57) مالك: الموطأ، ج4، ص1029 .السخاوي: التحفة اللطيفة، ج2، ص51.

58) ابن سعد: الطبقات، ج4، 202.ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج28، ص49. المزي: تهذيب الكمال، ج14، ص481. الذهبي: سير أعلام النبلاء،ج5،ص447. الذهبي: تذكرة الحفاظ، مج1، ص101. السخاوي: التحفة اللطيفة، ج2، ص317–318، 488.

59) المروذي، أحمد بن محمد بن الحجاج: أخبار الشيوخ وأخلاقهم، تحقيق عامر حسن صبري، (بيروت: دار البشائر الإسلامية، ط1، 1426هـ/2005م)، ص 58.الخلال: الحث على التجارة، ص47. الخطيب البغدادي: نفس المصدر، ج12، ص 462.

60) البزّ هي الثياب، ويسمى من يمتهن هذه المهنة بزّاز أي بائع البزّ. ابن منظور: لسان العرب، ج5، ص312.

61) ابن سعد: المصدر السابق، ج3، ص359، 362 .

62) الذهبي: تذكرة الحفاظ، ج1، ص44. بينما ذكر ابن قتيبة الدينوري بأن المسيب والد سعيد هو من كان يتاجر بالزيت. ابن قتيبة، عبدالله بن مسلم الدينوري: المعارف، تحقيق ثروت عكاشة، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط2، 1992م)، ص437.

63) الحناطة من الحنطة البُر، ويسمى من يمتهن هذه المهنة حنّاط أي بائع الحنطة. ابن منظور: المصدر السابق، ج7، ص278.

64) الخباطة من الخبط، أي ضرب الشجر لينتثر الورق منه. نفس المصدر، ج7، ص282.

65) ابن سعد: المصدر السابق، ج3، ص474، ج4، ص201، 204.ابن قتيبة: المصدر السابق، ص485.الفسوي: المعرفة والتاريخ، مج3، ص 139، 665. المزي: المصدر السابق، ج23، ص17– 18. الذهبي: ميزان الاعتدال، ج3، ص320. الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج5، ص36. الذهبي: تذكرة الحفاظ،

ج1، ص69. ابن حجر العسقلاني: المصدر السابق، مج3، ص219، مج8، ص224. السخاوي: المصدر السابق، ج2، ص46.

66) هي من قرى المدينة النبوية على ثلاثة أيام من ذات عرق على طريق الحج من الكوفة إلى مكة المكرمة، وهي تقع شرق المدينة المنورة بحوالي 200كلم. الحموي: معجم البلدان، مج3، ص24.

67) مالك: الموطأ، ج4، ص898.الزبير بن بكار: جمهرة نسب قريش، ص266.المزي: نفس المصدر، ج7، ص238.السخاوي: المصدر السابق، ج1، ص112.

68) ابن سعد: المصدر السابق، ج3، ص391.ابن حزم، علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي: جمهرة أنساب العرب، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1403هـ/1983م)، ص72 . الذهبي: المصدر السابق، ج7، ص426. ابن حجر العسقلاني: المصدر السابق، مج4، ص176. الفاسي: العقد الثمين، ج3، ص426.السخاوي: المصدر السابق، ج2، ص177، 187.

69) السباعي: تاريخ مكة، ج1، ص114.

70) ابن سعد: المصدر السابق، ج4، ص263. المزي: نفس المصدر، ج15، ص468، ج16، ص390–391. الذهبي: نفس المصدر، ج5، ص318. الذهبي: تاريخ الإسلام، مج3، ص263.الفاسي: المصدر السابق، ج5، ص3، 235. ابن الجزري: المصدر السابق، مج1، ص443.

71) أحمد شلبي: التربية الإسلامية، (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ط6، 1978م)، ص46.

72) ابن سعد: المصدر السابق، ج3، ص368.

73) ابن سعد:الطبقات، ج4، ص158. ابن قتيبة: المعارف، ص549. ابن حجر العسقلاني: تهذيب التهذيب، مج7، ص 276. السخاوي: التحفة اللطيفة، ج3، 210.

74) ابن سعد: نفس المصدر، ج4، ص233. ابن قتيبة: نفس المصدر، ص547. الذهبي: تاريخ الإسلام، مج3، ص277.

75) ابن حبان: المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين، ج1، تحقيق محمود إبراهيم زايد، (حلب: دار الوعي، ط1، 1396هـ)، ص185 .ابن عدي، عبد الله بن عدي الجرجاني: الكامل في ضعفاء الرجال، مج2، تحقيق عادل أحمد عبدالموجود وآخران، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1418هـ/1997م)، ص256.البكجري: نفس المصدر،ج2، ص346.

76) أبو نعيم الأصبهاني: حلية الأولياء، ج3، ص207، 311.الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج10، ص 219.ابن الجوزي: صفة الصفوة، ج1 ، ص415 . المزي: نفس المصدر، ج21، ص 39.

77) ابن سعد: الطبقات، ج3، ص400، ج4، ص151،152. ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج28، ص58، ج35، ص334. المزي: المصدر السابق، ج17، ص351. ابن حجر العسقلاني: المصدر السابق، مج6، ص254. السخاوي: نفس المصدر، ج2، ص317.

78) مالك: نفس المصدر، ج6، ص95. ابن سعد: الطبقات، ج4، ص141، 157، 160. الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج6، ص117. البكجري: إكمال تهذيب الكمال، ج7، ص269. ابن حجر العسقلاني: نفس المصدر، مج9، ص262. السخاوي: المصدر السابق، ج3، ص599.

79) ابن سعد: المصدر السابق، ج4، ص161، 180. المزي: نفس المصدر، ج26، ص102. الصفدي: المصدر السابق، ج4، ص68. ابن حجر العسقلاني: نفس المصدر، مج9، ص342. السخاوي: المصدر السابق، ج3، ص667.

80) ابن سعد: نفس المصدر، ج4، ص242. الذهبي: نفس المصدر، مج3، ص458.

81) مالك: المصدر السابق، ج1، ص46. ابن سعد: نفس المصدر، ج4، ص191. الذهبي: نفس المصدر، مج4، ص719.

82) ابن قتيبة: عيون الأخبار، ج2، (بيروت: دار الكتب العلمية، (د.ط)، 1418هـ)، ص153. أبو نعيم الأصبهاني: حلية الأولياء، ج7، ص276.

83) ابن سعد: نفس المصدر، ج4، ص137–138، 153.

84) ابن سعد: المصدر السابق، ج3، ص380، 398، 446، ج4، ص186. المزي: نفس المصدر، ج1، ص280. الفاسي: العقد الثمين، ج7، ص206. السخاوي: نفس المصدر، ج1، ص211، ج3، ص 297.